حول تأسيس مدينة العبّاسيّة بإفريقيّة**

عبد الحميد فنينة*

ملخص

في سياق تحقيقنا لأسماء بعض دور السكّة بإفريقية نتناول بالدرس في هذا العمل إشكالية تاريخ تأسيس مدينة آو مدن العباسية بإفريقية في العصر الوسيط المتقدم. من خلال مقاربة تعتمد المراوحة بين المصادر النمية والمصادر المكتوبة لاستقراء وتأويل المعلومات الواردة فيها بخصوص هذه المسالة، نسعى لتقديم قراءة مغايرة تسمح بإعادة النظر في التاريخ السائد إلى الآن وذلك بالتوازي مع تحديد موضع قصر العباسية أو القصر القديم في عهد الولاة العباسيين مقارنة بالمدينة الأميرية الأغلبية التي شيدها إبراهيم بن الأغلب فور توليته إمرة إفريقية من قبل الخليفة العباسي هارون الرشيد.

الكلمات المفاتيح

علم النميات ؛ إفريقية ؛ العباسيون ؛ الأغالبة ؛ تأسيس العباسية ؛ طوبونوميا.

** محتوى هذه الدراسة قدم كمداخلة في أشغال الملتقى الدولي الثاني حول "القبيلة – المدينة– والمجال في العالم العربي الإسلامي الوسيط"، تونس 10 – 12 أفريل 2003. والذي نشر مؤخرا من طرف مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس 2007.

* كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس.

Ă PROPOS DE LA FONDATION DE LA VILLE D'AL-^{C}ABBÂSIYYA D'IFRIQIYA

Résumé

Nous nous proposons, dans le cadre de notre enquête sur certains ateliers monétaires d'Ifrîqiya, de traiter ici de la question de la date de fondation de la ville/ villes d'al-^{c}Abbâsiyya d'Ifrîqiya au haut Moyen Âge. Notre approche se fonde sur un croisement des informations recueillies dans les sources numismatiques avec celles des sources textuelles et tente une relecture de ces sources afin de renouveler nos connaissances sur la datation admise jusqu'ici. Elle nous permettra ainsi de déterminer l'emplacement exact de Qasr al-^{c}Abbâsiyya ou le Vieux Château à l'époque des gouverneurs ^{c}abbâsîdes par rapport à celui de la ville princière aghlabide, dont la date de fondation est attribuée unanimement à Ibrâhîm b. al-Aghlab dès sa nomination à la tête de l'Emirat par le calife ^{c}abbâsîde Hârûn al-Rashîd.

Mots clés

Numismatique ; Ifrîqiya ; ^{c}Abbâsîdes ; Aghlabides ; Fondation d'al-^{c}Abbâsiyya ; Toponymie.

مقدمة

من المعلوم أن المدينة الأميرية الأغلبية العبّاسيّة زالت تماما ولم تبق من الآثار الدالة عليها شيئا يذكر. فالحفرية الوحيدة التي أجريت على موضع يرجح أنه مدينة العباسية المندثرة[1]، والتي تعود إلى بداية القرن العشرين، لم تسفر على نتائج تسمح بالتعرف على ملامحها المعمارية وتطورها التاريخي، خاصة وأنها لم تشمل سوى خمس الموضع حسب تقدير G. Marçais وأنها أجريت على المناطق الهامشية شمالي وغربي "المدينة"[2].

لم تحض إذا هذه المدينة المغمورة لحد الآن بالعناية الكافية من حيث الدراسة على غرار مدن أخرى أحدثت بالمغرب الإسلامي[3] على أهميتها. فهي مدينة أميرية لعبت دورا بارزا في تاريخ إفريقية في العهد الأغلبي، إلى جانب حاضرة الإمارة القيروان. مجمل القول أننا نجهل الكثير عن تاريخ مدينة العبّاسيّة وحتى النزر القليل الذي نعلمه حولها والذي يتعلق أساسا بتاريخ تأسيسها، وإن بدا للبعض مؤكدا، فهو لا يزال قيد البحث والتدقيق ولم يحسم

1- انظر دراسة :

G. Marçais, « Fouilles à Abbâssîya, près de Kairouan », *Bulletin Archéologique du Comité des Travaux Historiques et Scientifiques* (*BACTHS*), 1925, p. 293-306.

التي جاء فيها بالصفحة 293 :

« Une tradition encore vivante dans la région de Kairouan permet de désigner un tell situé à 4 kilomètres de la ville, vers le sud, comme l'emplacement probable de Qaçr-el-Qadîm ou Abbâssîya, la résidence princières aghlabides au IX[e] siècle de l'ère chrétienne (III[e] de l'hégire) ».

2- انظر نفس الدراسة، ص. 294 :

« Les recherches en avaient affecté tout au plus la cinquième partie. Elles avaient entamé les rebords nord et ouest de ce plateau rectangulaire de 5 3 mètres sur 38… que cette partie du moins du tell d'Abbâssîya comportait des communs, des bâtiments de service, magasins, celliers ou cuisines. Des salles d'habitation ou d'apparat plus vastes peuvent se trouver dans une autre partie du tell ; les premières recherches ne donnent pas le moyen de le savoir, encore moins de reconstituer un plan d'ensemble ».

3- تجدر الإشارة إلى انه لم تفرد لهذه المدينة دراسة خاصة الا مؤخرا. أنظر دراسة فوزي محفوظ، « قصر الماء، العباسية، القصر القديم : تعددت الأسماء والموضع واحد! »، **إفريقية**، 19، 2002، ص. 119-144 ، خاصة ص. 119-120. نفس الدراسة نشرت باللغة الفرنسية تحت عنوان :

F. Mahfoudh, « Qasr al-Mâ, al-Abbâsiya et al-Qasr al-Qadîm : à propos de quelques agglomérations près de Kairouan », dans *CRAI*, 1[er] fasc., Paris, 2003-2, pp. 49-64.

لا يفوتني أن أتوجه بجزيل الشكر إلى صديقي الأستاذ فوزي محفوظ الذي أفادني كثيرا في إنجاز هذا البحث.

أمره بعد بصفة نهائية. فكل ما نعرفه حول هذه المدينة مستمد من المصادر العربية[4] دون سواها من المصادر في نتف قليلة مبهمة لا تتعدى ذكر حدث تأسيسها. حيث تجمع هذه المصادر –وفي سياقها نحت الدراسات التاريخية– على أن إحداث مدينة العبّاسيّة يعود إلى إبراهيم بن الأغلب (184-196/800-812)، مؤسس الإمارة الأغلبية، الذي أنشأ مدينته قرب القيروان فور توليته شؤون ولاية إفريقية سنة 184 هـ./800، من قبل هارون الرشيد[5]. غير أن شواهد نميّة (numismatiques) ورد عليها اسم العبّاسيّة، سكّها ولاة إفريقية العباسيون[6]، تحمل على الظن بأن هذه المدينة وقع تشييدها قبل قيام الإمارة الأغلبية (184-296/800-909). أم هل أنها تشير إلى أن إفريقية (والمغرب الإسلامي عامة) لم تشهد فقط تأسيس مدينة العبّاسيّة الأغلبية المعروفة، كما يعتقد غالبا، وإنما مدنا أخري حملت هذا الاسم وهي تعود إلى فترة الولاة العباسيين (134-184/752-800). ولكن ما هو الاحتمال الأكثر وجاهة حينئذ لتفسير المعطيات الواردة على السكّة والتي تبدو متضاربة مع تلك التي تقدمها المصادر المكتوبة ؟ أم هل أنه بالإمكان التوفيق بين المصدرين ؟

سوف نحاول من خلال هذا البحث تناول هذه المسالة بالدرس لاعتقادنا انه بالإمكان إعادة النظر في هذه المسألة واستقراء جديد لهذه المصادر المنسية في أبحاث المؤرخين[7] دون أن يكون ذلك ضربا من ضروب المجازفة أو

4- **نفس المرجع**، ص. 119-144 (انظر خاصة ص. 128-142).

5- أنظر مقال حسن حسني عبد الوهاب، al-ᶜAbbâsiyya ., *EI²*، ج. 1، ص. 24-25 ؛ نفس المؤلف، **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية**، ج. 1، تونس، 1965، ص. 353-359 ؛ محمد الطالبي، **الدولة الأغلبية**، تعريب المنجي الصيادي، بيروت، 1985، ص. 153-154. أنظر أيضا :

Fournel (H.), *Les Berbères. Etude sur la conquête de l'Afrique par les Arabes*, vol. I, Paris, 1875, p. 450-2 ;

Marçais (G.), « Fouilles à 'Abbâsiya », p. 293-306 ; *Idem.*, *L'architecture musulmane d'occident*, Paris, 1954, p. 26-27 ; M. Solignac, « Recherches sur les installations hydrauliques de Kairouan », *Annales de l'Institut d'Etudes orientales (AIEO)*, X, 1952, p. 212-227 ; M. Vonderheyden, *La Berbérie orientale sous la dynastie des Bénou-l'Arlab* ; Paris, 1927, p. 191-192.

6- أنظر :

Lowick (N.), *Early ᶜAbbâsid coinage. A type corpus (132-218 H/ AD 750-833). A posthume work by Nicholas Lowick*, éd. E. Savage, Londres, 1999, p. 44-69, n° 1-266.

7- Voir D.J.G. Stickel, *Handbuch zur morgenländischen münzkunde*, I, Leipzig, 1845, p. 61-63 ; E. Von Zambaur, « Contributions à la numismatique orientale. Monnaies inédites ou rares des dynasties musulmanes de la collection de l'auteur », dans

الاجترار العلمي. غايتنا الوحيدة هي تحديد موضع مدينة العبّاسيّة الوارد اسمها على السكّة وضبط تاريخ إنشائها، دون غيرها من المسائل المعمارية والتاريخية.

I- إشكالية ضبط تاريخ تأسيس مدينة العباسية الأغلبية

عند تعرضه، في أطروحته حول الإمارة الأغلبية، لمسألة تأسيس مدينة العبّاسيّة من قبل إبراهيم بن الأغلب استغرب الأستاذ محمد الطالبي تزامن أولى إصدارات دار ضرب العبّاسيّة في العهد الأغلبي مع تاريخ تأسيس هذه المدينة كما أجمعت عليه أو تكاد المصادر العربية. لأن ذلك يوحي، من منظوره، بأن إبراهيم بن الأغلب "عجّل منذ سنة 184 هـ. بضرب السكّة" بالعبّاسيّة وكأنه أراد "تخليد ذكراه بتسجيل تاريخ الحدث" و"احتفاء به". وهو ما يحمله على عدم قبول شهادة المصادر النميّة معتبرا أن لا مجازفة في القول بأن " العبّاسيّة لم توجد في ذلك التاريخ بصورة عملية إلا على قطع النقود التي كانت مخصّصة لإذاعة الخبر السعيد، والتعريف في الشرق بالاعتراف وبمبايعة أمير إفريقية أسياده الذين سمّيت باسمهم المدينة، وقد وضع حجرها الأساسي - إن صحّ القول - وهو حدث احتفي به في ضرب خاص للسكة. وحتى في أيامنا هذه ننتظر بالفعل المدن الجديدة أكثر من بضعة شهور للظهور". وهكذا فإنه يجزم بشكل قطعي أن مدينة العبّاسيّة لم تكن سنة تولي إبراهيم بن الأغلب إمارة إفريقية "سوي مشروع بكل تأكيد، ومقصد وبرنامج للسياسة الخارجية بالخصوص، وبمرور الوقت، وتطوّر الوضع وظهور المصاعب، لا بد أن الأمير اكتشف بالتدريج أن المدينة المزمع بناءها، والتي كانت بصدد الإنجاز، في الإمكان أن تكتسي منفعة أقل رمزية وأكثر حسّا" مضيفا أنه "لا يوجد في هذا التاريخ أي علامة تسمح بالتأكيد أن العبّاسيّة وقصرها الأبيض أصبحت ذلك الحصن المنيع القريب من الحاضرة والذي يمكن استخدامه عند الحاجة كملجأ أمين، ينفذ إليه بسرعة وسهولة، ثم أنها كانت تستعد لتعويض القيروان، كما تطلب ذلك تطور الأحداث، بصفتها إقامة رسمية للأمراء" وأن إبراهيم بن الأغلب لا يزال "يقيم لا محالة بالقيروان في سنة 186 /802"[8]

Numismatifche Zeitschrift, XXXVI, Vienne, 1905 (1904), p. 47 : « La question de la fondation d'el-ᶜAbbâsiyya près de Qairewân, souvent débattue, mériterait d'être posée encore une fois ».

8- الطالبي (م.)، **الإمارة الأغلبية**، ص. 154. لا بد من الإشارة هنا أن الأستاذ محمد الطالبي، نظرا لهذه الاعتبارات المنطقية، يفضل رواية ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج. 1، ص. 92، والتي جاء فيها أنه " في سنة 185 شرع إبراهيم في بناء مدينة القصر القديم (ضمنيا العبّاسيّة) وصار بعد ذلك دار لأمراء بني الأغلب".

درهم ضرب بالعباسية سنة 148هـ في إمارة إبراهيم بن الأغلب (Bnf, Lavoix, 828)



بعد هذا الإقرار بأن مدينة العبّاسيّة لم تأسس سنة 800/184 باعتبار أن هذا التاريخ يمثل لحظة الشروع في تشييد هذه المدينة والتي سوف تتطلب حتما فترة زمنية ما لتصبح مكتملة المعالم، وإنما بعد ذلك، ربما سنة 185 هـ[9] أو بعد سنة 186 هـ يستطرد الأستاذ محمد الطالبي معلقا على رواية البلاذري (ت. 892/279 أو قبل 915/302) حول تأسيس العبّاسيّة أن لفظة "ابتني" التي يستعملها هذا المؤرخ، عند حديثه عن القصر الأبيض الذي شيده إبراهيم بن الأغلب، ربما تعني "الترميم والتطوير" مضيفا "وإلا فكيف يفسر أن إبراهيم

9- أنظر مثلا م. الرماح "ملاحظات حول ضرب السكة بالقيروان"، **إفريقية**، 19، 2002، ص. 5-16، وبالخصوص ص. 8-9 حيث يعتبر أنه "منذ أن أسس إبراهيم بن الأغلب سنة 185 هـ. عاصمته الجديدة "العبّاسيّة" أصبح أمر تحديد دار الضرب أكثر تعقيدا ولم يعد مصطلح إفريقية ينطبق على القيروان، خاصة وأنا نملك درهما يعود إلى عهد إبراهيم الثاني يشير صراحة إلى أنه ضرب سنة 275 هـ, بالعبّاسيّة وهو ما يدعو إلى الاحتراز والتوقف. ثم إن إحداث دار ضرب العبّاسيّة لا يعني تعطيل مثيلتها بالقيروان خاصة وأن المدينة قد ظلت تمثل قلب إفريقية وشريانها الاقتصادي ولم تكن العبّاسيّة التي اتخذها الأغالبة قلعة اعتصموا بها لتخل بنشاط دار الضرب بالقيروان لقربها من العامة حيث ييسر وجودها هنالك معاملاتهم وحاجاتهم لسكّ النقود وإعادة ضرب ما فسد منها."

الأول تمكن من ضرب النقود بها منذ سنة 184 ؟ لا يشيّد القصر، مهما كان متواضعا، في بضعة شهور، ولا يقبل في مثل هذا الوقت القصير، مصنعا لضرب السكّة".

نلاحظ، دون شك، حيرة الأستاذ محمد الطالبي في تحديد لحظة تأسيس مدينة العبّاسيّة نظرا لصعوبة التوثيق بين المعلومات الواردة في المصادر المعتمدة والتي بدا له بعضها يتعارض مع منطق التطور التاريخي للأحداث. فشاب عرضه بعض الاضطراب والتناقض. ما يهمنا بالأساس من هذا العرض هو التأكيد على نقطتين. الأولى أن الرأي المسلم به في الدراسات التاريخية، بالاعتماد على المصادر المكتوبة، والذي لا جدال فيه، هو أن تأسيس مدينة العبّاسيّة يعود إلى مؤسس الإمارة الأغلبية فور توليه إمرة إفريقية سنة 184 هـ. أما النقطة الثانية فتتعلق بوجود مصادر نميّة تؤرخ لحدث تأسيس مدينة العبّاسيّة. كان الأستاذ محمد الطالبي، أحد المؤرخين القلائل الذين تفطنوا لوجودها ولو أن تحليله قاده في النهاية إلى رفض شهادتها مفضلا شهادة المصادر المكتوبة على تأخّرها زمنيا عن سير الأحداث، إذ تعود أقدم الروايات إلى أواخر القرن الثالث هجري (التاسع ميلادي)[10]. واللافت للانتباه أنه اقتصر في تناوله للمسالة على الشواهد النميّة التي تعود إلى الفترة الأغلبية مهملا تلك التي تعود للفترة السابقة بالرغم من علمه بوجودها، بدليل اعتماده في أطروحته حول الإمارة الأغلبية على دراسة H. Fournel التي تشير إلى هذه الإصدارات[11].

II- إشكالية تحقيق دار/دور ضرب العباسية بإفريقية

نلحظ نفس الحيرة لدى أبي الفرج العش في مصنفه الجامع حول السكّة الأغلبية[12] في سياق تحقيقه لأســماء دور السكّة في العهد الأغلبي. فعند

10- البلاذري، **فتوح البلدان**، تح. رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت 1983، ص. 235 ؛ اليعقوبي، **كتاب البلدان**، ص. 348.

11- Fournel (H.), *Les Berbères,* I, p. 451, note 4.

12- انظر دراسة م. ابوالفرج العش، "تحقيق بعض مدن ضرب النقود" **المسكوكات**، العدد 8-9، 1978 ص. 40-52، خاصة ص. 43-46. نفس العمل نشر باللغة الفرنسية في مدونته حول السكة الأغلبية:

Al-^CUsh (M. abu-l-Faraj), *Monnaies aglabides, étudiées en relation avec l'histoire des Aglabides*, I.F.D., Damas, 1982.

تعرضه لدار ضرب العبّاسيّة، حاول بدوره التوفيق بين مختلف المعلومات الواردة في المصادر العربية وتلك التي استقاها من الشواهد النميّة. ليخلص إلى القول بأن إفريقية والمغرب الإسلامي عامة عرفتا تشييد عدة مدن حملت اسم العبّاسيّة "تكريما للخلافة العبّاسيّة وتثبيتا لنفوذها"، وهي ثلاث :

- المدينة الأولي التي سميت بهذا الاسم شيّدها عمر بن حفص بالزّاب سنة 151 هـ./768 كما جاء في رواية البلاذري[13]. وهي التي أصبحت فيما بعد –من منظوره– تسمي طبنة. مضيفا بأن عبّاسيّة عمر بن حفص (151–768/154–771) ربما أنشأت على أنقاض مدينة سابقة مهجورة.
- المدينة الثانية وهي المدينة الأميرية الأغلبية التي شيّدها إبراهيم بن الأغلب سنة 184 هـ أو ربما سنة 185 هـ. والتي تقع على بعد ميلين أو أربعة جنوبي القيروان.
- المدينة الثالثة، وهي أحدث المدن عهدا شيّدها محمد الأول بن الأغلب (226-242/841-856) قرب مدينة تاهرت، حسب رواية البلاذري وابن الاثير، سنة 239 هـ./853 أو ربما قبل هذا التاريخ، كما جاء في رواية أخري لابن خلدون الذي يؤرخ الحدث بسنة 227 هـ./842.

ليستطرد القول بأن هناك احتمالا لوجود عبّاسيّة رابعة بالمغرب الإسلامي، مستدلا على ذلك أيضا بالمصادر النميّة. ذلك أن بعض المسكوكات التي تحمل اسم دار ضرب العبّاسيّة والتي نشرها بعض النمّيين منذ القرن التاسع عشر، وأرخت بسنوات 140 هـ/757 و141 هـ/758[14] مما يجعلها

أنظر أيضا لنفس المؤلف **كنز أم حجرة الفضي**، دمشق، 1972، ص. 54–56. وهي دراسة سابقة للعملين المذكورين أعلاه والتي قدم فيها بصورة مقتضبة ما ذكره لاحقا.

13- انظر ع. فنينه، " مدينة المهدية بافريقية في عصر الولاة العباسيين"، دراسة قيد النشر

14- Tornberg (C. J.), *Numi Cufici Regii Numophylacii Holmiensis*, Upsala, 1848, n° 19 ; Fräehn (C M.)., « Die inedita einer neuen, der numismatischen abtheilung des Asiatischen museums aus Persian gewordenen accession », *Bull. hist. phil.*, 1847, vol. IV, p. 245-256, voir p. 246, n° 3 ; I. A. Arri, *Novas observations in quosdam numos abbasidarum aliosque cuficos sive editos sive anecdotos*, Taurinorum, 1835, p. 28, n° 4 ; W. Tiesenhausen, *Monnaies des Khalifes Orientaux* (*Moneti vostochnavo khalifata*), Saint Pétersbourg, 1873, n° 709 et 714. Voir N. Lowick, *Early ᶜAbbâsid coinage*, p. 44-45, n° 1-2.

أقدم مدن المغرب الإسلامي عامة التي سمّيت باسم العبّاسيّة. وهو ما يجره إلى طرح السؤال الذي يفرض نفسه أين توجد هذه المدينة الأولي المحتملة ؟

للإجابة على هذا السؤال يقدم أبو الفرج العش أربع احتمالات :

- "يجوز أن يكون القصر القديم، جنوبي القيروان" موضعا قديما سمّي في عهد الولاة العبّاسيين بالعبّاسيّة ولكن خرّب فيما بعد بفعل "الثورات وروح الكراهية لمركز الخلافة... وما كان عمل إبراهيم بن الأغلب إلا أنه أعاد البناء تجديدا وترميما، أحيا اسم العبّاسيّة إرضاء للخليفة". وأن هذه المدينة الأغلبية التي أطلقت عليها المصادر العربية عدة تسميات تدل جميعها "على النواة التي تشكلّت حولها مدينة العبّاسيّة" التي شيدها إبراهيم بن الأغلب، دون أن يتعرض بالتحليل للتطور التاريخي لأسماء المدينة القديمة التي قامت على أنقاضها عبّاسيّة مؤسس الإمارة الأغلبية ويوضح الأبعاد المختلفة لهذه التسميات.

- "يجوز أيضا أن طبنة التي أطلق عليها العبّاسيّة لم تكن مستحدثة من قبل عمر بن حفص، بل كانت أقدم من عهده. وكان عمل عمر هو التجديد وإعادة البناء"

- "يجوز أن يكون في الموضع" الذي يوجد قرب تاهرت والذي بنيت فيه مدينة العبّاسيّة التي شيدها محمد بن الأغلب "مدينة قديمة اسمها العبّاسيّة، لكن الاضطرابات والقلاقل خربتها وقضت على اسمها تشفّيا من النفوذ الخلافي في تلك المنطقة البعيدة"

- "يجوز" أن تكون مدينة العبّاسيّة هذه التي سكّت فيها دراهم سنتي 140 هـ. و141 هـ. هي مدينة رابعة غير المدن المذكورة وهي مدينة مجهولة لم تذكرها المصادر العربية.

بعد تقديم هذه الاحتمالات الأربعة يستطرد العش بالقول بأن هذه المدينة المغمورة واصلت ضرب السكّة في عهد الولاة العبّاسيين اللاحقين لولاية عمر بن حفص مما يحمله على الاعتقاد بأن العبّاسيّة هذه هي التي يذكرها في احتماله الرابع لأنه "لا سبيل إلى تعليل ذلك إلا بأنه توجد مدينة بإفريقية بعيدة حصينة اسمها العبّاسيّة -غير المدن التي ذكرناها- ظلت محكومة من أحد أفراد بني يزيد بن حاتم المهلبي وهو يعتز بجده في أثناء حياته وبعد مماته، وظل هو ومن تلاه من أسرته يصدرون الدراهم على النسق القديم دون أي

تحوير. حصل هذا بالرغم من أن الأغالبة استطاعوا أن يبسطوا سلطانهم بقوة على رقعة كبيرة جدا من إفريقية"، ويعني ذلك أن العش يعتبر، ضمنيا، أن العبّاسيّة هذه، أقدم مدن المغرب الإسلامي التي سمّيت بهذا الاسم وهي مدينة مجهولة توجد خارج حدود الإمارة الأغلبية، دون أن يحدّد موضعها بالضبط ربما بالمغرب الأوسط أو المغرب الأقصى.

تبدو لنا محاولة العش لتفسير مختلف المصادر التي تعرضت لمدينة العبّاسيّة، وخاصة منها النميّة، مضطربة جدا وتكتفي بإحصاء مدن العبّاسيّة بإفريقية والمغرب الإسلامي عامة بعدد الروايات. لكن الأمر المؤكد في هذا العرض أن اسم مدينة العبّاسيّة ظهر على سكة الولاة العباسيين قبل "تشييد" العبّاسيّة الأغلبية في عهد إبراهيم بن الأغلب، كما تجمع عليه المصادر المكتوبة والدراسات التاريخية. فهل يعني ذلك أن إفريقية في العهدين العبّاسي والأغلبي شيدت بها على الأقل مدينتان سميتا باسم العبّاسيّة، إذا استثنينا مدينة محمد بن الأغلب التي لا تدخل في إشكالية هذه الدراسة. وإلى إي مدي يصح الرأي القائل بأن مدينة العبّاسيّة التي شرع في تشييدها إبراهيم بن الأغلب سنة 184 هـ، لم يفرغ من بناءها إلا سنة 185 هـ. أو ربما سنة 186 هـ. أو بعد ذلك؟ وكيف نفسر حينئذ مختلف الإصدارات النقدية التي سكت في هذه الأثناء بهذه المدينة، أي خلال سنوات 184–186 هـ. ؟ ثم إلى إي حد يمكن قبول الرأي القائل بأن ولاية إفريقية أو ربما المغرب الإسلامي بصفة أشمل عرفتا إنشاء مدن أخرى حملت اسم العبّاسيّة وهي مدن سابقة للعبّاسيّة الأغلبية والتي يستدل على وجودها من خلال الشواهد النميّة ؟ وفي حالة إقرارنا لا محالة بوجود عبّاسيّة سابقة للعبّاسيّة الأغلبية تعود لفترة الولاة العبّاسيين فهل بالإمكان تحديد موضعها ؟

تجدر الإشارة هنا إلى أن أبحاث نميّة سابقة لدراسة العش، يعود بعضها إلى القرن التاسع عشر وبعضها الآخر إلى بداية القرن العشرين، تعرضت باقتضاب لهذه المسألة ؛ نخص بالذكر منها أعمال E. von Zambaur. ففي سياق دراسته لبعض نماذج السكّة الإسلامية الفريدة، نشر قطعتين سكتا بدار ضرب العبّاسيّة تحملان تاريخ 150 هـ. اعتبرهما أقدم مسكوكات دار الضرب هذه، مفترضا أن العبّاسيّة التي كانت بمثابة مقر إقامة الوالي العبّاسي منذ ولاية الأغلب بن سالم (148-150 هـ./765-767) والتي توجد حذو حاضرة الولاية، لا تعدو أن تكون سوي مدينة القيروان نفسها بعد تطورها العمراني، والتي لم

يظهر اسمها على السكّة إلى حدود العصر الفاطمي[15].هذا الرأي من السهل دحضه، إذ سبق وأن افترضه في أواخر القرن التاسع عشر Stickel [16]. ذلك أنه من المعلوم ومنذ فترة طويلة أن اسم إفريقية الذي ظهر على السكّة يدل على حاضرة الولاية أي القيروان، وربما كان الاسم الرسمي لهذه الحاضرة إلى حدود العصر الفاطمي، والتي ضربت السكّة بالتوازي مع دار ضرب العبّاسيّة. فلا يعقل بتاتا أن تضرب السكّة في دار ضرب واحدة باسمين مختلفين في نفس الفترة. كذلك، وكما هو معروف أيضا منذ فترة طويلة، فإن موضع مدينة العبّاسيّة يوجد جنوبي مدينة القيروان على بعد ميلين أو بنحو4 كيلومترات وأن المدينتين منفصلتين عن بعضهما البعض، لكل منها أسوارها وأبوابها الخ[17].

أما حسن حسني عبد الوهاب فإنه يعتبر أن دار ضرب العباسية هذه "ليست بالعبّاسيّة المعروفة جنوب القيروان التي أسسها فيما بعد إبراهيم الأول من بني الأغلب، وإنما هي مدينة صغيرة كان أسسها عمر بن حفص المهلبي في حدود سنة 152 هـ. لما كان واليا على إفريقية، والعبّاسيّة هذه تقع في ارض

15- E. von Zambaur, « Contributions à la numismatique orientale », 1905, p. 47, n° 9-10. Voir p. 47-50 « Je crois qu'en considérant sans partie pris les traditions que je viens de citer, on ne pourra formuler d'autre opinion que ᶜAbbâsiya n'était rien que la résidence du gouverneur dans la capitale de la province, pareillement que le « qasr el-Mansour », plus tard, « Qasr el-Khold » et enfin le Harîm était la résidence des Khalifes à Baghdâd. Du récit de Balâdsori on peut conclure que l'armée et les fonctionnaires se sont établis autour du qasr-Qairawan, formant ainsi une nouvelle agglomération urbaine, et finalement ces deux centres de population, l'ancienne ville et la résidence, se sont confondues à ne plus former qu'une seule grande ville. Je suis convaincu que ʻAbbâsiya est tout bonnement à identifier avec Qairewân et que le 1er nom n'est autre que la qualification officielle (surtout administrative) de la capitale, ainsi qu'on appelait Baghdâd : « Medinat es-Selâm », et Reyy « el-Mohammediya ». Puis ajoute, un peu plus loin : « Les monnaies nous apportent au moins une preuve négative. Qairewân ne se trouva jamais sur les monnaies, ainsi que Baghdâd, à l'exception du temps des premiers Fatimides ».

16- بعد أن أشار إلى الجدل القائم حول تحديد موضع العبّاسيّة بين كل من ادلر وفراين وكستغليلني ؛ بين من يعتبرها حيا من إحياء بغداد (Adler) وبين من يضعها برقادة (Frähn و Castiglioni)، يذهب Stickel إلى الاعتقاد أنها لا تعدو أن تكون سوى مدينة القيروان.

انظر D.J.G..Stickel, *Handbuk*, I, 62-63

17- انظر دراسة :

G. Marçais, « Fouilles à Abbâsiyya, près de Kairouan », pp. 293-306.

الزّاب حيث بسكرة الآن في ناحية المعاقل الحربية العربية للتخوم الإفريقية"[18]. والواضح أنه يعتمد في هذا التحديد على رواية البلاذري.

ثم أن أبحاثا، لاحقة لدراسة العش، تعرضت أيضا بصورة عرضية للمسألة، مثل دراسة س. شما الذي يعتبر "العبّاسيّة محلة كانت ببغداد منسوبة إلى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس. ولا يمكن أن تكون العبّاسيّة التي بناها إبراهيم بن الأغلب في سنة 184 هـ.(800) أو بعدها، لأن الفلوس المضروبة بدأت من سنة 148 هـ."[19] وهو بذلك يذهب مذهب[20] Le Strange في تفسير هذه الإصدارات. والواضح أن هذا الرأي لا يأخذ بعين الاعتبار أن الدراهم وليس الفلوس فقط التي سكت بدار ضرب العبّاسيّة والمؤرّخة قبل ظهور الإمارة الأغلبية تحمل أسماء ولاة إفريقية العبّاسيين. كما أن هذا الرأي يستند فيه صاحبه، على ما يبدو، على فلس يحمل تاريخ السك (148 هـ.) دون أن ينقش اسم الوالي عليه.

بعد استعراض أبرز الآراء حول تأسيس مدينة العبّاسيّة ونقدها، نعتقد انه بالإمكان تقديم تصور جديدة حول هذه المسألة. لكن من المفيد في البداية الإشارة هنا إلى أن اختلاف الآراء بين المؤرخين والنمّيين يعود بالأساس إلى عدم إطلاع هؤلاء على أعمال الآخرين وإهمالهم لهذه المصادر الأثرية البالغة الأهمية لا سيما فيما يتعلق بالمسائل التأريخيّة خاصة وأنها مصادر رسميّة معاصرة للأحداث التي ترويها. لكن هذه المصادر تتطلب دون شك استقراء للمعلومات الواردة عليها ومقابلتها بمصادر أخري حتى يكون بإمكاننا الوصول إلى الحقيقة المرجوة. كما انه من المفيد الإشارة أيضا إلى أن النمّيين الذين تعرضوا لهذه المسألة بصورة عرضية في سياق حديثهم عن مواضيع أشمل، لم يفردوا لدار ضرب العبّاسيّة دراسة معمقة تعتمد فيها مختلف المصادر التي تعرضت لتاريخ المدينة كما لم يعتمدوا مقاربة منهجية سليمة تأخذ بعين الاعتبار إصدارات العبّاسيّة بدون معزل عن إصدارات دار ضرب إفريقية وهي مسألة وقع إهمالها تماما من منظورنا، إذ اقتصر الأمر على الإنكباب

18- حسن حسني عبد الوهاب، **ورقات**، ج. 1، ص. 426–427 ؛ أنظر أيضا لنفس المؤلف، **النقود العربية في تونس**، تونس، 1968، ص. 23. هذا الراي اخذ به بن قربة (ص.)، **المسكوكات المغربية من الفتح العربي الى سقوط دولة بني حماد**، الجزائر، 1986، 133.

19- س. شما، **ثبت الفلوس العباسية**، لندن، 1998، ص. 77.

20- G. Le Strange, *Bagdad during the abbasid caliphate*, Londres, éd. 1924, p. 142 ; 148.

على تحقيق اسم مدينة الضرب وتأويل المعلومات الواردة بشأنها لتحديد مجالها فجاءت هذه الآراء مضطربة إلى حد ما بالرغم من أنها تستند إلى مصادر أثرية على غاية الأهمية لحسم هذه القضية.

III- مدينة العبّاسيّة : الموضع وتاريخ التأسيس

إن رصدنا لمختلف الإصدارات النقديّة التي سكّت بدار ضرب العبّاسيّة بإفريقية[21]، بالاعتماد على المصنّفات النميّة، يبين أن دار الضرب هذه اقتصرت على سك الدراهم والفلوس دون الدنانير[22] كما هو الشأن بالنسبة لمختلف دور ضرب افريقية عهد الولاة العباسيين. فالدراهم سكت بدون انقطاع فيما بين 148 هـ. و180 هـ.[23] وبعد سنوات 183- 184 هـ[24] كما نشر بعض النمّيين، وكنا قد المحنا إلى ذلك من قبل، دراهم أرخت بسنة 140 هـ أو ربما سنتي 140-141 هـ.[25] أما الفلوس فقد سكت بصورة متقطعة ابتداء من سنة 148 هـ إلى حدود سنة 183 هـ.[26]. فيما عدا بعض الإصدارات القليلة، والتي تعود إلى الفترة الأولى من نشاط دار الضرب، فإن سكة العبّاسيّة حملت أسماء مختلف الولاة العبّاسيين الذين تعاقبوا على حكم ولاية إفريقية. كما أنه عند مقابلة المعلومات الواردة على سكة العبّاسيّة مع ما تقدّمه المصادر العربية فيما يتعلّق بأسماء الولاة وفترة ولاية كل منهم نجد أن هناك غالبا اتّفاقا بينهما. بينما في الحالات النادرة التي لا تتّفق فيها تواريخ السكّ مع فترة حكم بعض الولاة، فإنها لم تقرأ بصورة مؤكدة. وبالتالي فلا مجال للشك في أن دار ضرب العبّاسيّة هذه توجد بإفريقية وأنها سابقة للمدينة الأميرية الأغلبية.

21- انظر الجدول المصاحب أسفله.

22- عكس ما يذهب إليه حسن حسني. عبد الوهاب، **النقود العربية**، ص. 62-63، عدد 55.

23- أنظر : N. Lowick, *Early ᶜAbbâsid coinage*, p. 44-69, n° 1-266.

24- أنظر دراسة : Al-ᶜUsh (M. abu-l-Faraj), *Monnaies aglabides*, p. 96, n° 166, 169-170.

25- I. A. Arri, *Novas observations*, (140 ?) ; C. J. Tornberg, *Numi cufici*, II, n° 19 (140 H.) ; C. M. Fraëhn, « Die inedita », p. 246, n° 3 ; repris dans W. Tiesenhausen, *Monnaies des Khalifes Orientaux*, p. 69-70, n° 709, 711 et 714 ; N. Lowick, *Early ᶜAbbâsid coinage*, n°1-2, pp. 44-45 .

26- سكت بدار ضرب العباسية الفلوس في السنوات التالية : 148، 162 ؟ 163؟ 165، 167؟ 169 ؟ 171 ؟ 172، 173، 175، 177، 179، 180–183 هـ. أنظر : س. شما، **ثبت الفلوس العباسية**، ص. 77-79 ، N. Lowick, *Early ᶜAbbâsid coinage*, pp. 300-301, n° 1-22.

من ضمن القطع التي أرّخت بصورة غير مؤكّدة، نظرا لصعوبة قراءة تاريخ السكّ والتي تحتاج إلى التثبّت من جديد نخصّ بالذّكر الدراهم التي أرّخها بعض النمّيين، مع إبداءهم لاحتراز كبير في صحّة القراءة، بسنوات 140 هـ و141 هـ[27] في أعمال تعود إلى المنتصف الأول من القرن التاسع عشر. والتي وقع التشكيك في صحة قراءة تاريخ سكها، من قبل مختصين لاحقين منذ بداية القرن العشرين[28]. فالمعلوم أن افريقية خلال هذه السنة أصبحت خاضعة للخوارج الاباضية ولا يعقل أن يشيدوا مدينة يسمونها باسم العبّاسيين. مما يجعلنا نعتبر أن الاحتمال الذي يقدمه العش، بالاعتماد على هذين الإصدارين، حول إمكانية وجود عبّاسيّة رابعة غير المدن التي ذكرها وأقدمها هو افتراض يرتكز على أسس هشة، إن لم نقل واهية.

ما يبدو مؤكدا هو أن أولى الدراهم وكذلك الفلوس التي سكت بدار ضرب العباسية تعود إلى سنة 148 هـ[29] وهي قطعة خالية من اسم الوالي العباسي. ثم أصبحت دراهم سنوات 149 هـ و150 هـ تحمل في أسفل مركز الظهر كلمة "**غلب**"[30] وهو ما يتفق مع ما تذكره المصادر العربية حول ولاية الأغلب بن سالم التميمي الذي تولي إمرة إفريقية فيما بين 148 هـ. و150 هـ. وهو ما يجعلنا ندعم الافتراض الذي أبداه من قبل Zambaur[31]، والذي ارتكز

27- Tornberg (C. J.), *Numi cufici*, II, n° 19 (140 H.?) ; I. A. Arri, *Novas observations*, p. 28.

28- انظر خاصة :

Zambaur (E. von), « Contributions à la numismatique orientale », p. 50.

29- Collection Limbada, cité par N. Lowick, *Early ᶜAbbâsid coinage*, p. 44-45, n° 3-4. et p. 300, n° 1 (BMC, 172-174) ; voir également S. Shamma, *A catalogue of ᶜAbbâsid copper coins*, p. 77, n° 1.

30- N. Lowick, *Early ᶜAbbâsid coinage*, p. 44, n° 3-4.

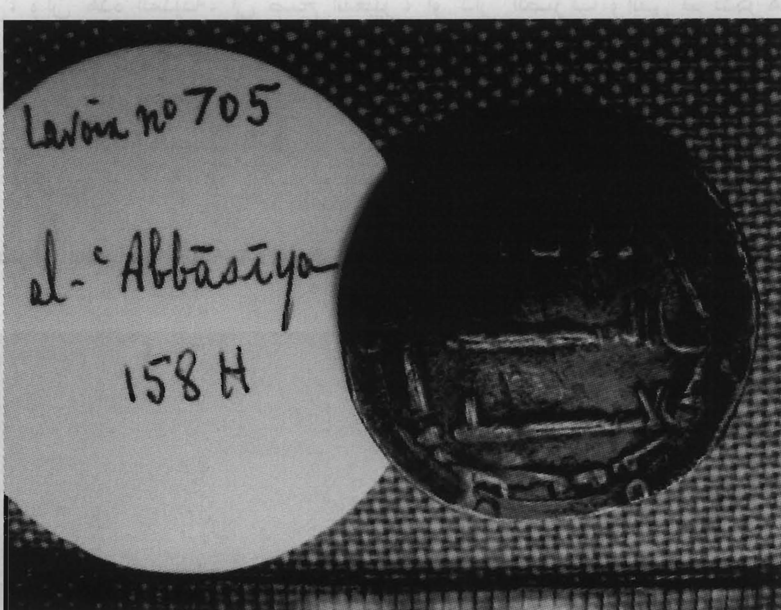
31- Zambaur (E. Von), « Contributions à la numismatique orientale », p. 49. « Quant à l'époque précise de la fondation, il s'ensuit de la date de notre dirham que ni Omar ni Ibrâhîm n'en pouvait être l'auteur… nous arrivons à cette supposition que la ville fut fondée par le premier Aghlabide que nous connaissions, el-Aghlab ibn Sâlim, gouverneur d'Ifrîqiya de 148 à 150 ». Note 2, De même C. M. Fraehn, « Numi kifici anecdoti ex variis museis selecti », *Mémoires de l'Académie Imp. Des Sciences de St. Pétersbourg*, 1823, p. 36, a émis cette opinion qu'Ibrahim, au lieu d'être le fondateur d'une ville nouvelle, s'était borné à rebâtir et à fortifier el-'Abbâsiya. Voir aussi *Lettre de M. Bartholomai à M. Soret* (septième lettre, Bruxelles, 1862, p. 17).

على قطعة من مجموعته الخاصة تحمل تاريخ 150 هـ وهي قطعة خالية من اسم الوالي العباسي، بأن تشييد العباسية يعود إلى ولاية الأغلب بن سالم التميمي، وأن هذه المدينة، إن صح التعبير، أو دار الضرب والتي لم تذكرها المصادر العربية، واصلت، منذ تأسيسها، في سك دراهم وفلوس تحمل ابتداء من ولاية عمر بن حفص (151-154هـ) أسماء الولاة العباسيين بدون انقطاع. فهل يعني ذلك أنها أصبحت المقر الرسمي للولاة العباسيين بإفريقية قبل ظهور الإمارة الأغلبية ؟

درهم ضرب بالعباسية سنة 154هـ في ولاية عمر بن حفص (BnF, Lavoix, 638)



درهم ضرب بالعباسية سنة 158هـ في ولاية يزيد بن حاتم (BnF, Lavoix, 705)



درهم ضرب بالعباسية سنة [6?]16هـ في ولاية يزيد بن حاتم (BCT, Fenina, 133)



نفترض أن محمد بن الأشعث سبق وأن ابتنى في موضع العباسية التي أسسها الأغلب بن سالم التميمي قصرا، عندما هجر دار الإمارة بالقيروان[32]. وأصبحت منذ ذلك الحين مركز السلطة حيث استقر الولاة العباسيون الذين تعاقبوا على حكم إفريقية أو على الأقل اتخذوها كمقر إقامة ثانوي. المهم أنها تعود في نشأتها إلى الأغلب بن سالم التميمي المعروف بولائه للعباسيين والذي اتخذ هذه التسمية ليطلقها على مدينته المحدثة تكريما دون شك، للخليفة العباسي الذي ولاه إمرة إفريقية. لكن هذه المدينة، فترة ولاية الأغلب على الأقل، لم يكن لها شأن يذكر نظرا لأنها كانت في مرحلة التشييد وبحكم قصر فترة ولايته لأن الثورات والاضطرابات التي شهدتها إفريقية أودت بحياته ولم يكن بإمكانه الفراغ من مشروعه التعميري لمدينته المحدثة. وهو ما يفسر ربما إلى حد ما إغفال المصادر العربية ذكر هذا الحدث.

المؤكد بالنسبة لنا أن هذه المدينة المحدثة والتي كانت، دون شك في طور البناء، أو على الأقل دار إمارة ومستقر الولاة العباسيين بإفريقية تحتوي إلى جانب قصر أو قصور مختلف الولاة العباسيين الذين تعاقبوا على حكم إفريقية وبعض الدواليب الإدارية منها دار ضرب السكّة والتي كما سلف وأن ذكرنا سكت الدراهم والفلوس بدون انقطاع طوال فترة الولاة العباسيين، كانت تضرب سكة بالتوازي مع دار ضرب إفريقية/القيروان. مما يعني أنها مدينة قائمة الذات، لا يمكن قط الخلط بينها وبين مدينة القيروان. والأهم من هذا أنها لفترة وجيزة (149- 159 هـ) أوكلت لها مهمة ضرب السكّة بإفريقية دون سواها بعد أن توقفت دار ضرب إفريقية/القيروان عن السك. وهو ما يعني إن دار ضرب العباسية لم تكن كما يمكن أن يتبادر إلى الذهن دار ضرب ثانوية مقارنة بدار ضرب إفريقية، بل دار الضرب الرئيسية على الأقل طيلة عقد من الزمن، يوافق فترة ولاية كل من الأغلب بن سالم التميمي ومن جاء بعده من الولاة إلى حدود ولاية يزيد بن حاتم (155-170/772-787)، والذي أعاد نشاط السك إلى دار ضرب إفريقية بعد بضعة سنوات من حكمه بعد أن تمكن من المسك بناصية ولاية إفريقية وفرض سلطته. لكنه في الآن نفسه أبقى على

32- أنظر ف. محفوظ، **نفس المرجع**، ص. 135.

نشاط السك بدار ضرب العباسية، والذي يبدو أنه كان مكثفا من حيث حجم الإصدارات ولا يقل شأنا، أو ربما يفوق، ما كانت تصدره دار ضرب إفريقية فيما عدي سنوات 181 و184 هـ.، أي الفترة التي سبقت بقليل لحظة ارتقاء إبراهيم بن الأغلب إلى الإمارة؛ مما يجرنا للقول بأن إصدار 184 هـ وما جاء بعده من الإصدارات لا يثير استغرابنا وأنه يتماشى بالعكس تماما مع منطق سير الأحداث، عكس ما يذهب إليه الأستاذ محمد الطالبي. وهو أيضا مؤشر على أن مركز السلطة يوجد آنذاك بالعباسية وليس بإفريقية (القيروان) على الأقل في بعض الفترات؛ ناهيك أن داري ضرب ولاية إفريقية (القيروان والعباسية) كانتا تزود الإمبراطورية العباسية في الفترة التي تتراوح بين 150 هـ و170 هـ بحوالي ربع حجم الإصدارات الجملية للدراهم[33]. وهو ما جعل من ولاية إفريقية في العهد العباسي الأول تحتل موضعا مركزيا في اقتصاد الإمبراطورية العباسية، عكس النظرة السائدة في اعتبار هذه الولاية هامشية.

33- أنظر دراسة :

Savage (E.) et Gordus (A.-A.), « Dirhams for the Empire », *Genèse de la ville islamique en al-Andalus et au Maghreb occidental*, éd. P. Cressier et M. Garcia-Arenal, Madrid, 1998, p. 377-402 ; T. Noonan, « Early ᶜAbbâsid mint output », *JESHO*, 29, 1986, p. 113-175.

This marked the beginning of what has been called the North African period of ᶜAbbâsid mint production during which the North African mint of al-ᶜAbbâsîye "emerged as the single most productive mint" of the empire », E. Savage et A.-A Gordus, « Dirhams for the Empire », 381; T. Noonan, « Early ᶜAbbâsid mint output », *JESHO*, 29, 1986, p. 148.

درهم ضرب بالعباسية سنة [1?]17هـ في إمارة إبراهيم بن الأغلب
(BCT, Fenina, 134)



درهم ضرب بالعباسية سنة 171هــ في ولاية يزيد بن حاتم
(BCT, Lavoix, 134)



هذه المدينة أو دار الإمارة أي مستقر الولاة العباسيين بإفريقية لا بد وأنها توجد قرب حاضرة الولاية القيروان حيث يتولى الوالي إمرة البلاد والخطبة في الجامع الكبير، خاصة أنها سكت إلى جانب الفلوس الدراهم بالأساس وهي من مشمولات الوالي دون سواه وتخضع لمراقبته المباشرة. كما أنها لفترة عقد من الزمن اتخذت كدار ضرب وحيدة لتزويد افريقية بالسكّة. وهكذا فإننا نعتبر أن دار ضرب العباسية التي أنشأها الأغلب بن سالم التميمي وواصل الولاة العباسين الذين جاؤوا من بعده ضرب السكّة بها هي مدينة العباسية التي تجمع الدراسات التاريخية على اعتبار أن إبراهيم بن الأغلب مؤسسها.

مثّل نصّ البلاذري عمدة الدراسات التي نحت في تناولها إشكالية تأسيس العباسية لتؤرخ حدث تأسيس المدينة بسنة 184 هـ. غير أن قراءة متمعّنة في النصّ المذكور تسمح بتقديم نظرة مغايرة تدفع في اتجاه تحملنا على القول به المصادر النمية. لكن قبل الخوض في محتوي النصّ وجب تقديم مجموعة ملاحظات تمهيدية.

البلاذري (ت. 279/ 892 أو قبل 915/302)، الذي بالرغم من معاصرته للإمارة الأغلبية، لم يزر إفريقية. ولكن يبدو وصفه لمدينة العباسية ومختلف مراحل تشييدها دقيقا ولو أنه مقتضب جدا ذلك لأنه استقى معلوماته من" أحد الموالى الأغالبة المشهورين وهو أحمد بن نافذ"[34]. يذكر في كتابه فتوح البلدان " فابتنى إبراهيم القصر الأبيض الذي في قبلة القيروان على ميلين منها. وخطّ للناس حوله. فابتنوا. ومصّر ما هناك، وبني مسجدا جامعا بالجص والآجر وعمد الرخام وسقفه بالأرز وجعله مائتي ذراع في نحو مائتي ذراع وابتاع عبيد أعتقهم، فبلغوا خمسة آلاف وأسكنهم حوله وسمي تلك المدينة العبّاسيّة وهي اليوم آهلة عامرة"[35]. يوحى لنا هذا المؤرخ إذا بأن العبّاسيّة، التي أصبحت في عصره مدينة "آهلة عامرة"، لم يحدثها إبــراهيم بن الأغلب من

34- أنظر ف. محفوظ، **نفس المرجع**، ص. 130.

35- البلاذري، **فتوح البلدان**، ص. 235. ورد هذا النص في م. الطالبي، **الدولة الأغلبية**، ص. 153.

« Qu'après la révolte de l'armée arabe, Ibrâhîm Ibn al-Aghlab édifia à deux mille au sud de Kairouan le Palais Blanc, autour duquel les gens ont érigé leurs demeures (…) la ville s'appelait al-Abbâsiya. Elle est de nos jours, ecrit-il, encore bien peuplée »., F. Mahfoudh, Qasral-Mâ', *CRAI*, 1er fasc., p. 57.

عدم وإنما على أنقاض مباني تعود لفترة سابقة، لا شك أنها تعود على الأقل إلى فترة الولاة العباسيين. فهو يشير في مطلع روايته إلى أن مؤسس الأسرة الأغلبية قام في البداية بتشييد قصره الأبيض في موضع المدينة المزمع إحداثها. وهو ما يعني في واقع الأمر أنه لم يقم بقصور الولاة العباسيين السابقين، مثل قصر الماء أو قصر الرصافة الذي يذكر البكري انه كان حذو العباسية[36]. ثم أنه، عكس من سبقه من الولاة، لم يتفرد بسكني هذا الموضع وإنما وزع حوله الخطط على "النّاس" من أفراد أسرته وحاشيته وأفراد جنده الخاص من العبيد الذين عتقهم، "فابتنوا". بعدها "مصّر ما هناك" وهي عبارة هامة توحي بأن الموضع معمور من قبل. فلفظة مصّر تعنى حسب المعاجم التمدين؛ مثل قولهم مصّر الأمير المكان جعله مصرا، ويقال مصّر الأمصار مثل مدّن المدائن. نستشف اذا من هذه العبارة أن عمل إبراهيم بن الاغلب تمثل، بعد تشييده لقصره، في تعمير المكان ببناء المنشئات المعمارية الأساسية مثل الجامع، حتى يصبح المكان مدينة مكتملة الملامح. ويختم البلاذري قوله بأن الأمير الأغلبي "سمى تلك المدينة العبّاسيّة " وهي عبارة محيرة توحي، كما جاء في كل الدراسات التاريخية، بأن إبراهيم بن الأغلب أسس مدينة جديدة أطلق عليها تسمية العبّاسيّة. تجدر الإشارة هنا إلى أن نفس المؤرخ تحدث في موضع آخر عن أن والي افريقية عمر ابن حفص (151-154 ه) شيّد ببلاد الزاب مدينة سمّاها العباسية[37]. ولكن على ضوء ما ذكرناه بالاعتماد خاصة على السكّة نتبين أن هذه المدينة قديمة أحدثت قبل تولي إبراهيم بن الأغلب إمارة إفريقية وسميت العبّاسيّة وهو ما تدعمه المصادر النمية. مما يجعلنا نعتبر أن هذه العبارة تشير في واقع الأمر إلى أن عمل إبراهيم بن الأغلب اقتصر على الاحتفاظ بالتسمية القديمة التي أطلقها والده وتواصل اعتمادها من طرف من جاء بعدة من الولاة على الموضع الذي اتخذه مقرا لسلطته. احتفاظه بالتسمية القديمة لا شك انه يعود لرغبته في تخليد ذكرى والده. وهو ما حمل المؤرخين القدامى على التمييز بين حدثي التأسيس والتمصير بإطلاق تسمية القصر القديم على "المدينة" المحدثة من طرف الأغلب بن سالم أي قصر العبّاسيّة الذي أصبح بعد تشييد مدينة، العبّاسيّة على نفس الموضع من طرف إبراهيم بن الأغلب قصرا قديما. وهكذا يبدو لنا واضحا السبب الذي جعل

36- البكري، **المسالك والممالك**، ج. 2، ص. 680.

37- انظر حول هذه المدينة ع. فنينة "مدينة المهدية بافريقية في عهد الولاة العباسيين" دراسة قيد النشر.

المصادر تطلق تسمية القصر القديم على مدينة العباسية، باعتبار أن العباسية الأولى لم تكن في واقع الأمر سوى قصرا عكس المدينة المشيدة من طرف إبراهيم بن الأغلب. هذا الموضع لم يكن بحق مدينة مكتملة المعالم وإنما مجرد مقر للوالي وإدارته المركزية. فهو لا يحتوي على مسجد جامع ولا حمامات ولا أسواق ولا سكن، كما هو الحال في الأمصار، وإنما يقتصر على دار الإمارة ودواليبها الإدارية وبالتأكيد دار السكّة. كان بإمكان إبراهيم بن الأغلب طبعا تغيير التسمية السابقة واتخاذ تسمية جديدة لمدينته خاصة وأنها أصبحت تحتوي على كل مكونات المدينة ولو أنها قامت على أنقاض أو إلى جوار مدينة سابقة. لكنه خير الإبقاء على التسمية القديمة خاصة وأنها تعود إلى والده وأنه لم يشأ أن يغير تسمية لها رمزيتها في الاعتراف بالخلافة العباسية كما فعل من قبل والده.

الخاتمة

خلاصة القول أن **العباسية، القصر القديم تعددت الأسماء والموضع واحد** كما جاء في دراسة الصديق الأستاذ فوزي محفوظ[38]. وهي أيضا مدينة واحدة فترتي الولاة العباسيين والأغالبة. أسسها الأغلب بن سالم التميمي أو على الأقل شيد النواة الأولى والتي اقتصرت على ما يبدو على دار الإمارة ودون شك دار الضرب. وربما كان ذلك على أنقاض قصر الماء. ثم اتخذها من جاء بعده من الولاة العباسيين كمستقر لهم دون أن ترتقي بعد إلى درجة المدينة. هذه اللحظة حصلت عندما تولي إمارة إفريقية إبراهيم بن الأغلب سنة 800/184. شرع إثرها في تشييد قصره الأبيض واختط للناس حوله من أهله وحاشيته وحرسه من العبيد وبني بها مسجده الجامع وحصنها حتى أصبحت بمرور الوقت مدينة بأتمّ معنى الكلمة قامت على أنقاض القصر القديم[39] او

38- فوزي محفوظ، "قصر الماء، العباسية، القصر القديم "، **نفس المرجع**، ص. 119-144.

39- Selon F. Mahfoudh, « Qasr al-Mâ' », *CRAI*, p. 62-63. « A partir du X^e^ siècle le toponyme al-Abbâsiya disparaît, pour laisser la place à d'autres appellations apparemment plus neutres, en particulier celles d'al-Qasr ou d'al-Qasr al-Qadîm (« le vieux palais »). Ce dernier nom a suscité des interrogations sur son sens. Quelques hypothèses ont été formulées pour l'expliquer :

-Solignac pensait que le toponyme évoque le Vieux Palais, al-Qasr al-Abiad (le Palais Blanc ») signalé par al-Balâdhurî, et qui fut selon ses dires la première construction érigée par Ibrâhîm ibn al-Aghlab, supposition qui ne tient pas compte du passé romain de l'endroit ;

قصر العبّاسيّة القديم والتي أطلق عليها البعض من المؤرخين العرب قصر إبراهيم. كما أطلقت عليها تسميات عدة: قصر/قصور الأغالبة أو دار/منازل الأغالبة لنزول الأمراء الأغالبة الذين أتوا بعده بها وسميت أيضا بقصر القيروان/قيروان، ربما منذ فترة الولاة العباسيين، باعتبارها مدينة أميرية لا تبعد إلا بضعة كيلومترات من حاضرة الإمارة وتحتوي على مركز السلطة السياسية ومؤسسات الدولة والتي تدعمت في فترة الأغالبة فعرفت بهم وأسند تأسيسها لمؤسس الأمارة الأغلبية إبراهيم بن الأغلب. وهكذا يبدو بديهيا أنه وقع التمييز بين المدينة الأولى التي أصبحت تحمل تسمية القصر القديم عوض العباسية، التسمية التي أصبحت خاصة بالمدينة الأميرية التي شيدها إبراهيم ابن الأغلب.

- La lecture d'Ibn Idhârî, auteur tardif du XIII[e] siècle, qui décrit dans un passage al-Abbâssiya et Raqqâda, laisse penser que le terme al-Qasr al-Qadîm avait été adopté après la construction de Raqqâda, cette dernière serait le Nouveau Palais, al-Abbâssiya étant l'ancien ;
- A ces deux hypothèses l'on pourrait ajouter une troisième : al-Qasr al-Qadîm avait été choisi pour sauvegarder le souvenir d'un ancien château, ou tout simplement du château d'eau qui se trouvait *in situ* ; ce fut sans doute l'édifice le plus important qui a été remarqué depuis le premier contact des Arabes avec la région. Le Qasr al-Qadîm pourrait être tout simplement une construction de Qasr al-Mâ' al-Qadîm. L'adjectif « ancien » (al-qadîm) se rapporterait ainsi à la période romaine et non au règne d'Ibrâhîm Ibn al'Aghlab ».

انظر فوزي محفوظ، "قصر الماء، العباسية، القصر القديم "، ص. 135-136.

انظر نص البكري في كتابه، **المسالك والممالك**، ط. تونس، 1992 ص. 679 ؛ انظر أيضا ابن عذاري، **البيان المغرب**، 1، ص. 208.

ببلوغرافيا

- ابن خلدون (ع.)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج. 4، بيروت، 1968.
- ابن عذاري، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح. ج.س. كولان وإ. ل. بروفنسال، ج. 1، بيروت، 1983.د.
- أبوالفرج العش (م.)، "تحقيق بعض مدن ضرب النقود" **المسكوكات**، العدد 8–9، 1978، ص. 40-52.
- أبوالفرج العش (م.)، **كنز أم حجرة الفضي**، دمشق، 1972، ص. 54-56.
- البكري (أبي عبيد)، **المسالك والممالك**، ج. 1، بيت الحكمة، تونس، 1992.
- البلاذري، **فتوح البلدان**، تح. رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.
- الرماح (م.) "ملاحظات حول ضرب السكة بالقيروان"، **إفريقية**، 19، 2002، ص. 5-16.
- الطالبي (م.)، **الدولة الأغلبية**، تعريب م. الصيادي، بيروت، 1985.
- بن قربة (ص.)، **المسكوكات المغربية من الفتح العربي الى سقوط دولة بني حماد**، الجزائر، 1986.
- شما (س.)، **ثبت الفلوس العباسية**، لندن، 1998.
- عبد الوهاب (ح. ح.)، **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية**، ج. 1، تونس، 1972، ص. 353–359.
- عبد الوهاب (ح. ح.) **النقود العربية في تونس**، البنك المركزي، تونس، 1968.
- فنينة (ع)، "مدينة المهدية بافريقية في عصر الولاة العباسيين"، قيد النشر.
- محفوظ (ف.)، "قصر الماء، العباسية، القصر القديم : تعددت الأسماء والموضع واحد"، **إفريقية**، 19، تونس، 2002، ص. 119-144.
- ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج. 4، بيروت، 1979، ص75-76.

- Abdul-wahab (H.H.), « al-ᶜAbbâsiyya », *EI²*, I, pp. 24-25.

- Arri (I. A.), *Novas observations in quosdam numos abbasidarum aliosque cuficos sive editos sive anecdotos*, Taurinorum, 1835.

- Fenina (A.) et *alii*, *Numismatique et histoire de la monnaie en Tunisie*, t. II, *Monnaies islamiques*, Tunis, 2007.

- Fournel (H.), *Les Berbères. Etude sur la conquête de l'Afrique par les Arabes*, vol. I, Paris, 1875.

- Frähn (C. M.), « Die inedita einer neuen, der numismatischen abtheilung des Asiatischen museums aus Persian gewordenen accession », *Bull. hist. phil.*, 1847, vol. IV, pp. 245-256.

- Frähn (C. M.), *Recensio Numorum Muhammedanorum*, 1826.

- Lavoix (H.), *Catalogue des monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale*, t. I, Paris, 1887.

- Le Strange (G.), *Bagdad during the abbasid caliphate*, Londres, éd. 1924.

- Lowick (N.), *Early ᶜAbbâsid coinage. A type corpus (132-218 H/ AD 750-833*), éd. E. Savage, Londres, 1999.

- Mahfoudh (F.), Qasr al-Mâ, al-Abbâsiya et al-Qasr al-Qadîm : à propos de quelques agglomérations près de Kairouan », *CRAI*, 1er fasc., Paris, 2003-2, pp. 49-64.

- Marçais (G.), « Fouilles à Abbâssîya, près de Kairouan », *Bulletin Archéologique du Comité des Travaux Historiques et Scientifiques* (*BACTHS*), 1925, p. 293-306.

- Marçais (G.), *Architecture musulmane d'Occident*, Paris, 1954.

- Noonan (T.), « Early ᶜAbbâsid mint output », *JESHO*, 29, 1986, pp. 113-175.

- Savage (E.) et GORDUS (A.-A), « Dirhams for the Empire », *Genèse de la ville islamique en al-Andalus et au Maghreb occidental*, éd. P. Cressier et M. Garcia-Arenal, Madrid, 1998, pp. 377-402.

- Stickel (D.J.G.), *Handbuch zur morgenländischen münzkunde*, I, Leipzig, 1845.

- Talbi (M.), *L'Émirat aghlabide (184-296/800-909). Histoire politique*, Adrien-Maisonneuve, Paris, 1966.

- Tiesenhausen (W.), *Monnaies des Khalifes Orientaux* (*Moneti vostochnavo khalifata*), Saint Pétersbourg, 1873.

- Tornberg (C. J.), *Numi Cufici Regii numophylacii Holmiensis quos omnes in terra Sueciae repertos digessit et interpretatus est*, Upsula, 1848.

- AL-^{c}Ush (M. abu-l-Faraj), *Monnaies aglabides, étudiées en relation avec l'histoire des Aglabides*, I.F.D., Damas, 1982.

- Vonderheyden (M.), *La Berbérie orientale sous la dynastie des Bénou-l'Arlab,* Paris, 1927.

- Zambaur (E.von), « Contributions à la numismatique orientale. Monnaies inédites ou rares des dynasties musulmanes de la collection de l'auteur », dans *Numismatische Zeitschrift*, T. XXXVI, Vienne, 1905 (1904), p. 43-122.

- Zambaur (E.von), *Die münzprägungen des Islams*, Wiesbaden, 1968.

جدول إصدارات الدراهم بداري ضرب السكّة بإفريقية فترة الولاة العباسيين : العباسية وإفريقية من خلال مدونة :

N. Lowick, Early ᶜAbbâsid coinage.

A type corpus (132-218 H/ AD 750-833), p. 44-85

الولاة	تواريخ الحكم	العباسية	إفريقية
عبد الرحمان بن حبيب	754-744/137-127		[133]
حبيب بن عبد الرحمان	757-755/140-138	[؟140]	140
		؟140/1]	141
محمد بن الأشعث	765-761/148-144		142
			143
			144
			145
			146
الاغلب بن سالم التميمي	768-765/1150-148	148	148
		149	
		150	
عمر بن حفص	771-768/154-151	151	
		152	
		153	
		154	
يزيد بن حاتم	787-772/170-155	155	
		156	
		157	
		158	
		159	
		160	160
		161	[161 ?]
		162	[162 ?]
		163	163
		164	164
		165	165
		166	166
		167	167
		168	168
		169	169
		170	170

الولاة	تواريخ الحكم	العباسية	إفريقية
روح بن حاتم	171-174/788-791	171	171
		172	172
		173	173
نصر بن حبيب	174-177/791-793	174	174
		175	175
		176	176
الفضل بن روح	177-178/793-794	177	177
		[178]	178
هرثمة بن اعين	179-181/795-797	[179]	179
		[180]	180
محمد بن مقاتل العكي	181-183/797-799		181
			182
			183
ابراهيم بن الاغلب	184-196/800-812		184